وفي يدي كتاب آخر اذكر انه احد اجزاء البحر الزاخر وهذه عادتي في كل الاسفار لاتخلو يدي من بعض الاسفار فركبت احدى العربات القاطرة وكان فيها اثنان تجملا بالملابس الفاخرة فوضعت الكتابين بيني وبين هذين الراكبين ولم تتحرك القاطرة حتى التقط كل منهما كتاباً ولم يخش في فعلته لوماً ولاعتاباً بل لم يعلم انه جنى على اداب السلوك وخالف بما فعل السنن المسلوك فلبثت انتظر فضلهما وان يتما فصلهما حتى تحققت عدم الفائدة وانهما اعتبرا الكتابين غنيمة باردة فقلت استلفت منهما النظر ياسيدي ما اشد متاعب السفر ولكن قبل ان في الكتاب والصاحب ما يخفف من هذه المتاعب وانا لو توفقت الى الثاني ما احضرت الاول ولا حصرت فيه القصد ولاجعلت عليه المعول

الا انني شكرت الصدفة التي اتاحت لقاء الفاضلين وارتني من ادابهما ما اغنى عن التمتع بالكتابين فقال احدهما وهو يتلعثم اي داع لهذا التهكم فالكتاب ليس من المؤلفات العالية ولا من النفائس الغالية وقال الاخر وهو يتكلف التؤدة والسكينة كذلك ما في يدي عجينة من تلك الطينة وبعد ان نفث كل من سموم اقواله رمى هذا بالكتاب عن يمينه وطرح الآخر بالرواية عن شماله فحزنت لهما من جهة على هذا القلب الاعمى وسررت لنفسي على انني اصبت المرمى ثم شغلت بالكتابين اصلح ماحل باوراقهما وحولت النظر عن الجليسين وسوء اخلاقهما وقلت قراءة الحمارة والنسناس ولا مصيبة الجلوس مع مثل هؤلاء الناس

اخلاق الصينيين وعاداتهم

لما كانت حوادث الصين تشغل الان اذهان العالم حتى لاحديث للناس الا بها وباحوال اهلها فقد انشأ حضرة الفاضلين اتربي افندي ابو العزو عبد العزيز افندي حمد كتاباً في شأن الصين جامعاً لكل ما تفرق من تاريخها وبيان احوالها ولغاتها ودياناتها وحكوماتها وكل ما يخفى على الكثيرين من امورها وقد اطلعنا في اثنائه على فصل بشأن اخلاق الصينيين وعاداتهم واحوال نسائهم فاثرنا نقله من قبيل الفكاهة والافادة وهو

الصينيون قدريون بحيث لو شبت النار في منزل أحدهم فليس من يهتم بأطفائها ظنا منهم بان الاقدار اذا شاءت اطفأتها من غير مطفئ واذا لم تشأ عجز عن اطفائها الوف مؤلفة . وهذا الاعتقاد سائد فيهم حتى ليبعثهم على اهمال أهم المصالح وربما كان السبب في قعودهم الى الان لايعرفون قيمة الحياة الحقيقية ومقدار ما يجاب العمل والنشاط لاهلها ولاسيما في ارض وافرة الغنى كالصين . لذلك تراهم لايعتنون بشيء من معاشهم فيكتفون بالساتر من الثياب وبالقليل التافه من الزاد كالارز والقطط والثعابين والفيران والكلاب

ومن أظهر الصفات فيهم الذكاء والبخل ثم الحقد الى حد ان الاعوام والقرون لاتنسيهم ما استكن في الصدور ثم الجبن وقد رآهم الناس في حرب اليابان يلقون بالسلاح ويفرون بغير قتال

اما عاداتهم فمنها في الزواج ان ابا الزوج قبل ان يعقد لابنه على فتاة يذهب الى ابيها فيأخذ منه اسمها ويوم ميلادها ثم يقارن بينهما وبين اسم

ابنه ويوم ميلاده فان وجد الطالع موافقاً عقد الزيجة والا فلا . ومتى وقع اختيار اقارب الزوج على احدى الفتيات فلهم الحق في ملاحظتها قبل ان تحتجب ثم في الذهاب معها الى الحمام ورؤية جسمها وهي عارية عن الثياب وبعد ذلك يدفع الزوج المهر بدون ان يسمح له برؤية عروسه . وفي اليوم المضروب للزفاف ينصب قريباً من بيت العروس صيوانان مملوءان شعيراً وقمحاً فيجلس العروسان بجانبهما قليلاً ثم يمشيان في احتفال عظيم يرميهما الاهل والاقارب والاصحاب بالقمح والشعير الموجودين في الصيوانين الى ان يبلغا بيت الزوج فيجلسا الى مائدة يأكلان منها بعض الشيء وبذلك تنعقد الزيجة

وبعد الزواج اذا خالفت المرأة رجلها في شيء اوزنت او كانت عاقرا او غارت عليه من زواجه بغيرها أو اصيبت بأمراض معدية أو سرقت منه شيئاً او كان الرجل نفسه لايحبها ويريد ان ينفصل عنها فله الحق في ان يطلقها

ومنها عند الموت ان كلا منهم يعد قبل وفاته كفناً خاصاً به فاذا توفي كفن فيه ثم زين زينة بالغة واعد للتشييع والدفن ولكنه لايدفن الا اذا جاء عراف وانبأ بان الساعة موافقة لانحس فيها والا فلا دفن ولو الى شهور . ومتى اخرج للتشييع سارت في مقدمة الجنازة موسيقى تلحن أناشيد الحزن امام النعش المبسوط على عيدان من الخشب يحملها جملان ثم سار الرجال بعد النعش بعضهم يحمل مظلة تظلل الميت وديكا أبيض وبعضهم يحمل البيارق الحمراء فاذا بلغت الجنازة القبر أخذ الميت اقاربه ودفنوه ثم أدبوا بعد ذلك بجانب القبر نفسه مأدبة حافلة للمشيعين . ومن الاصول المقررة عندهم انه اذا كان الميت أحد الاثنين الأب والأم لبث الحزن في الاسرة ثلاث سنوات

على الاكثر و٢٧ شهراً على الاقل ثم وجب على الابن والزوجة اولاً ان يلبسا ثياب الحداد (وهي عندهم الثياب البيضاء) المدة المذكورة وثانياً ان يتركا كل عمل ويمتنعا عن رؤية النساء والاصحاب سنة كاملة وثالثاً ان لايناما على سرير مائة يوم ورابعاً ان يقدما كل عام قربانا على القبر . أما اذا كان الميت هو الامبراطور نفسه فان الامة جميعها تلزم باتخاذ ملابس الحداد وباجتناب الملابس الحمراء

ومن اعتقاداتهم الراسخة ان المرء اذا مات وجب ان يدفن الى جانب من دفن قبله من أهله واقاربه ولذلك فهم يكرهون ان يسافروا الى ارض بعيدة خوف ان يموتوا فيدفنوا غرباء لكنهم اذا اضطروا الى سفر طويل أخذوا معهم جملة من الاديك البيضاء واستصحبوها في قيامهم وقعودهم ظناً منهم بان لها قدرة على نقل الارواح من حيث هي مشردة الى حيث تستقر في قبور الاهل والاقارب . وقد كان الوزير الصيني (لي هونغ تشنغ) يحمل معه اثناء تجواله في أوروبا منذ بضعة اعوام سبعة من الاديك لنفس هذا الاعتقاد

ومنها في المحادثة والتزاور أنهم مولعون بالتواضع حتى لاترابهم يقولون في التخاطب انا وانت او عبدك وسيدي بل عبدك الخاضع الفقير الغير جدير بان ينتسب اليك ومولاي العظيم الجليل . واذا خاطب احدهم آخر وسأله عن ابنته مثلا قال : كيف هي مولاتي السيدة بنتك الجميلة ؟ فيجيبه : خادمتك التي لاتستحق ان تنتمي اليك حالها كيت وكيت . واذا ذكر احدهم بيت غيره فلا يصفه الا بالفخامة والجلال ولو كان كوخاً حقيراً أما اذا ذكر منزله هو فلا يسميه الا كوخاً حقيراً ولو كان قصراً عظيماً

ومنها ايضاً ان الاب اذا رزق اولاداً كثيرين ولم يستطع القيام بمعيشتهم جميعاً جاز له ان يلقي بعضهم في النهر او يبيعهم . وان الولد متى ولد ذهب ابوه الى مائة من معارفه واخذ من كل واحد قطعة من الدراهم القديمة ثم جعل الجميع عقداً يلبسه اياه اعتقاداً منه ان ابنه يبقى محبوباً من اصحاب القطع مادام لابسه وان الرجال يشغفون شغفاً لامزيد عليه بتطويل شعر الرأس حتى لقد رأينا التتار حينما حكموا الصين امروهم بقص ضفائرهم والا قتلوا فلم يفعلوا وفضلوا القتل

ومنها اخيراً ان ارباب الرفاه والجاه يطيلون اظافرهم علامة على انهم لايشتغلون بايديهم

بقيت كلمة عن المرأة الصينية فنقول: ان الصينيات محتجبات مستعبدات لازواجهن حتى ان الواحدة منهن اذا اساءت معاملة زوجها حكم عليها بالجلد مائة مرة اما هو فاذا اساء اليها لم يعاقب بشيء وله في كل الاحوال ان يبيعها كما يباع المتاع . وهن مولعات بالتزين والتطيب حتى ليقضين معظم النهار امام المرآة ومن المعروف عندهن وضع الاقدام مدة الصغر في قوالب من الحديد لتبقى دائماً صغيرة جميلة

اما تركيب اجسامهن فدقيق حسن الصورة ولا سيما عيونهن السوداء وانوفهن الصغيرة ولذلك قلما تجدهن في مجلس الا وهن متفاخرات بالجمال متباهيات بالزينة وحسن الرواء

تفكر شاعر

او

(سكان المريخ)

احقاً ما يقول القائلونا ... ويزعم بالنجوم الزاعمونا
أنالمريخ كالغبراء اهل ... فهم غادون فيه ورائحونا
فمنهم جاهلون ذوو فساد ... ومنهم عالمون وصالحونا
ومنهم كافرون اولو عناد ... ومنهم مؤمنون وراشدونا
واجاد اذا سئلوا كرام ... واوغاد ترد السائلينا
وربما يعاني الشعر فيهم ... رجال كالاولى عانوه فينا
ارى انا على خلق سواء ... فلا تبعد ديار بني ابينا
ترى عشقوا الحياة كما عشقنا ... فشقهم عناء العاشقينا
ام اطرحوا هواها فاستراحوا ... من البلوى وراحوا ناعمينا
وهل غفلت خطوب الدهر عنهم ... فباتوا في المضاجع غافلينا
فلا وابيك لو انا امنا ... عواديها لامسوا آمنينا
لقد ذموا الزمان كما ذممنا ... وعيوا بالصروف كما عيينا
فلو جاءت رسائلهم الينا ... سمعنا مايسوء السامعينا
فمن شكوى تذيب القلب حزنا ... وتجري الدمع مدراراً هتونا
ومن عتب تهال النفس منه ... يهون بعض عتب العاتبينا
ومن سخط يريك الخفض بؤسا ... وينسيك الصحاب الساخطينا